نمذجة مُثل الكلام في النظريات اللسانية
- من نظام اللسان إلى نظام الخطاب -

سعاد معمر شاوش
جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 / الجزائر
norealarab12@hotmail.fr

تاريخ التسلم: 2019/09/29 تاريخ القبول: 2019/10/19

الملخص:

يتحدث هذا المقال عن العلاقة بين النموذج اللساني (modèle linguistique) والنموذج المعرفي (paradigme)؛ حيث سنوضح كيفية انتقال الأفكار والتصورات من المجال العام الذي يشمل العلوم وحقول معرفية مختلفة ويحيط بها في فترة تاريخية ما، إلى مجالات ضيقة كاللسانيات إذ تأخذ النظرية اللسانية مشاربها العلمية وأصولها الفلسفية من هذا المجال الواسع الذي يسمى"الباراديكم".

وعندما نتحدث عن النموذج، لابد أن نركز على مفهوم مهم يعود إلى مستوى "التمثيل" الذي تقترحه النظرية في التحليل اللغوي، وهو "المثال" بمعناه الذي يعكس ما يتمتع به المتكلم من مُثل وقوانين تقيد كلامه، إضافة إلى أن نا نلاحظ كيفية انتقال التفكير اللساني من الاهتمام بنظام اللسان إلى نظام الخطاب عبر تطورات مهمة تعود أساسا إلى تغير النموذج المعرفي.

الكلمات المفاتيح : نموذج - نمذجة - تمثيل - نموذج معرفي - نموذج لساني.

Modélisation de la parole dans les théories linguistiques: Du système de la langue au système du discours

Résumé:

Cet article traite le sujet de la relation entre le paradigme/ modèle épistémique (M.E) et le modèle inguistique (M.L). Nous allons démontrer, comment les idées et les conceptions se transfèrent du domaine général ; qui comporte les sciences dans une phase historique ou la théorie linguistique prend ses origines de ce domaine. Quand on parle du (modèle), on doit insister sur un concept très important concernant le niveau de représentation proposé par la théorie dans l'analyse linguistique ; c'est à dire le Modèle (sujet- parlant) qui reflète les connaissances du parlant concernant les modèles et les règles qui gèrent sa parole. Par ailleurs on remarque comment la pensée linguistique se transfère du système de la langue vers le système du discours, à travers un développement important en rapport avec le changement des paradigmes.

Mots clés: modèl - modélisation - représentation cours de langue - modèle épistémique - modèle linguistique .

Speech modeling in linguistic theories: From the System of Language to the System of Discourse

Abstract:

This article discusses the relationship between the paradigm / epistemic model (E.M) and the linguistic model (L.M). We will demonstrate how ideas and conceptions are transferred from the general domain; which includes the sciences in a historical phase where linguistic theory has its origins in this domain. When we talk about the (model), we must insist on a very important concept concerning the level of representation proposed by theory in linguistic analysis; that is, the Model (subject-speaker) which reflects the knowledge of the speaker about the patterns and rules that manage his speech. Moreover, we notice how linguistic thought is transferred from the system of language to the discourse system, through an important development in relation to the paradigm shift.

Keywords : model - modeling - representation - Linguistic model- epistemic model.

مقدمة:

أصبح بإمكان اللسانيات أن تتحدث عن وسائل وطرائق لنقد مناهجها ونتائج بحثها، ومن بين الموضوعات التي تحتاج إلى بسط علمي في ظل ما وراء اللسانيات موضوع التقنيات التي تؤكد بها النظريات حضورها في ميادين العلم، ومنه يوصف الخطاب اللساني النظري بأنه يتضمن تقنية مهمة تجعله يوجز مبادئه ومسلماته ومنهجه في تمثيلات افتراضية تقربه من الواقع اللغوي لتصبح نموذجا يقتدي به علماء النظرية الواحدة أو حتى من هم خارج دائرة العلماء، ولذلك تسمى نموذجا، يصور فهمهم للسان ويوضح كيفية إجرائية ما لتحليله. وهو هدف جعل النظريات اللسانية تتسابق نحو بناء النماذج، مما خلق تكوثرا لا بد من بحث أسبابه، وتبيان دوافعه. فما المقصود بالنموذج اللسانيle modèle linguistique ؟ وما هي أهم النماذج اللسانية المقترحة لتمثيل الكلام؟ كما يمكن طرح إشكاليتين هما: ما مدى مقاربة النماذج المقترحة في هذه الاتجاهات اللسانية لمثل الكلام؟ وهل اعتبار البحث اللساني عن نظام الخطاب قطيعة معرفية لنظام اللسان؟

1. مفهوم النموذج المعرفي والنموذج اللساني: le paradigme et le modèle linguistique

في كل عصر من عصور التاريخ الإنساني تتحكم جملة من المعايير العلمية والمنهجية في تصور العلماء محددة لهم اتجاهات بحثهم في تناول المواضيع و وضع مبادئ نظرياتهم، فمن منظور التاريخ الإبستيمولوجي للعلم هناك سبل في كل حقبة تاريخية تقود إلى سيادة تصور للظواهر الطبيعية على حساب تصورات أخرى، فهناك أسباب مختلفة وراء سيادة التصور الميكانيكي في القرن السابع عشر، كنموذج للتفسير، هيمن على العقول وفرض معاييره ومقاييسه على البحث العلمي.

فتقف وراء النموذج السائد فلسفة ما ومعتقد راسخ، يتحكمان في النظريات العلمية، فالنظرة الآلية التي طغت في القرن 17م وأصبحت نموذجا سائدا في حقول معرفية مختلفة، تعود إلى المفهوم الديكارتي الذي طرحه من خلال نظريته الطبيعية ودورها في تفسير حركات الأجسام والأجرام وحتى جسم الإنسان؛ والنظرية النيوتونية باعتبارها تتويجا لمسيرة الآلية الفلسفية والعلمية وأثرها على الطب والهندسة والمجتمع وغيرها. ومعنى ذلك أن النظريات العلمية تعمل في مناخ فكري يسوده نموذج أو نماذج تحكمها فلسفات مختلفة، وهو ما يسمى **بالنموذج المعرفي** ويتعلق بمفهوم **النموذج العام**.

1.1. مفهوم النموذج المعرفي: وتمثيل الواقع

جاء في المعجم الفلسفي أن:" النموذج مثال الشيء، ويطلق على المعاني المتصورة، وبخاصة المثل الأفلاطونية القائمة بذاتها. والنموذج أيضا هو المثال الفني الذي تحدث العلة الفاعلة معلولها على صورته." (صليبا، 1979، صفحة 508) فيعتبر صاحب المعجم بأن النموذج يرادف المثال بشكل عام، ويقابله بـ: Exemplaire وبالإنجليزية: Exemplary.

فالنموذج المعرفي هو قبل كل شيء نموذج علمي موضوع من تصور العلماء لوقائع وظواهر بصدد الدراسة وقد يصل إلى درجة التمثيل المادي كما هو شأن بعض العلوم؛ فنجد أن:" النماذج تستخدم استخداما مكثفا من قبل العلماء، وهي تأتي في أشكال مختلفة. تتضمن كل أنواع النماذج ضربا من

المماثلة بين النموذج والواقع أو أي زعم علمي آخر." (هوندرتش، 2003، صفحة 959) وهو أمر النماذج العلمية النظرية أساسها مماثلة الواقع عبر جملة من التصورات من خلال نسقها النظري:" النماذج النظرية لا تقل أهمية، إن لم تكن أكثر أهمية، حيث حاول العلماء مناظرة جوانب مختلفة من الواقع، عبر افتراضات مبسطة يتم تعديلها أو إقصاؤها في ضوء نجاحات النماذج المتنبأ بها." (هوندرتش، 2003، صفحة 959) ومن منظور تأويلي يمكن اعتبار النظريات العلمية " مجموعة من النماذج النظرية - تؤول وفق ظروف امبيريقية محددة - عوضا من أن تكون أنساقا عامة تحاول تفسير قدر وافر من الواقع دفعة واحدة." (هوندرتش، 2003، صفحة 959).

فأصعب ما يمكن أن يستهدف به النموذج العلمي التفسير بدل التوقف عند وصف الواقع؛ لأن النظرية كما وصفها جون سيرل:" شبكة الأحكام التي أقدمها لك عن الواقع والحقيقة" (سيرل، 2006، صفحة 27)، فالنظرية التي لا تستطيع أن تقترح نموذجا يمثل قراءتها للظواهر المدروسة لا ترق للتطبيق والأجرأة الفعلية لأفكارها وتصوراتها التي تبقى مجرد فرضيات؛ يقول كارل بوبر أن:" النظريات العلمية هي قضايا كلية تشبه التمثلات اللغوية في كونها أنساقا من العلاقات أو الرموز[...]" (بوبر، 1986، صفحة 97).

- **النموذج المعرفي Le paradigme**: أعطى توماس كون Thomas Kuhn مفهومه للنموذج العلمي بشكل متميز من خلال كتابه "بنية الثورات العلمية" Structure des révolutions scientifiques، حينما تحدث عن سبب القفزات العلمية الكبرى، التي لا تعود ـ في رأيه ـ إلى التراكم المتواصل للمعرفة ـ كما كان متصورا من قبل ـ وإن ما هو تغير في النموذج المعرفي القائم الذي يحكم تصورات هذا العلم، فعلى سبيل المثال كانت التصورات التي حكمت علم الفلك حول مركزية الأرض ودوران جميع الأجرام السماوية حولها، أساسا معرفيا لهذا العلم يبني قوانينه على منواله ويحدد صحة نتائجه بعدم تعارضه مع هذه الفكرة السائدة في التعقل العلمي، وأم ا ما يختلف عن هذا التصور يعد محاولة للتفسير خارج أطر النظرية التي يأخذ بها العلماء، واستمر هذا المعتقد سائدا إلى ظهور ثورة علم الفلك الكوبرنيكية التي أدت إلى القول بأن الشمس هي مركز الكون.

من مفهوم كون للنموذج المعرفي يمكن أن تعمم فكرته على بقية العلوم، التي تقبع تحت مظلة نموذجية معينة، ولكن اللافت للانتباه أن الحقبة التاريخية قد تتبنى أكثر من إبدال كظهور فلسفة المادة إلى جنب فلسفة العقل، والمهم في ذلك هو أن يختار العالم بوعي أو دونما وعي تحت أي نموذج يعمل وينجز بحثه، أو يضع نظريته. فالعلم السوي عند هذا العالم هو:" النشاط الذي يمارس عبر تبني براديم، وهي نموذج عام للعلم ومعايير مشتركة للحكم على مزاعم الجماعة العلمية المعرفية، يتم تكريسه عبر حل الأحاجي(والأحجية مشكلة علمية تَضم ن البرادايم سلفا إمكان حلها عبر تطبيق مبادئها). الحال أن قمع كل محاولة بديلة لفهم الظواهر هي طريقة أشياع البرادايم في الحفاظ على نظريتهم." (فولر، 2012، صفحة 09).

فوفق هذا المنظور لا تقوم للعلم السوي قائمة إلا إذا كان عمل الجماعة العلمية في إطارٍ نموذجي معرفي يوجه بحثها ونشاطها، انطلاقا من إشكالية تراها أجدر بالطرح من غيرها يقول سالم يفوت:"

فحتى تصور الحل وتصور أدواته، لا بد وأن ينخرط ضمن منظور منهجي متبع ومعمول به. فحل المشاكل والمسائل التي تشد انتباه العلماء إليها في فترة ما، لا يتطلب مجرد براعات وكفاءات عالية من طرف هؤلاء، بل يفترض إلى جانب ذلك أن يكون الحل المقترح قابلا لأن ينضبط من قبل المنظور المنهجي(السوي). إن الرؤية الجديدة والمختلفة لا تكون إلا من خلال(مظلة علمية) أو(براديم) جديد يحصل إجماع العلماء عليه ليتحول إلى (علم سوي). (يفوت، 2008، صفحة 59).

فللنظرية العلمية معتقدات ومسلمات عليها أن تنسجم مع النموذج المعرفي الذي تبناه العلماء وعليه تصدق مقدمات هذا العلم مع المناخ الفكري للنظرية، فيوجه آراءهم ويحكم نظريتهم، بما في ذلك المقاييس التي تعتبرها الجماعة تميز الحل العلمي(الحقيقي والموضوعي) من مجرد (التأمل الميتافيزيقي)، وتلك المقاييس تلعب دور الإطار المنظم لنشاط العلماء وبحثهم، حتى في اختيار النظريات والآراء الجديدة كما ذهب إلى ذلك توماس كون. ويمكن أن نضرب أمثلة لأهم النماذج التي عرفتها المعرفة قبل النهضة العلمية وبعدها:

1- نموذج ق 15 و 16م: نموذج مثالي(فلسفة أرسطو وأفلاطون).

2- نموذج ق17م: نموذج الآلة و فرض التصورات الفيزيائية والرياضية على كل العلوم.

3- نموذج ق18م: نموذج التطورية وفرض تصورات البيولوجيا والمنهج التجريبي على كل العلوم.

4- نموذج ق19م: نموذج النظام وفرض تصورات العلوم التجريبية على العلوم الإنسانية.

5- نموذج ق20م: نموذج التكنولوجيا والاتصال يسيطر على كل العلوم.

يبدو أن النموذج المعرفي يظهر في فترة تاريخية ما ولكنه قد يمتد للعصور المجاورة ولا يخمد إلا باستبداله بنموذج جديد، وتظهر معه مفاهيم قد يُعتقد أنها مبتكرة ولكنها تعود لتصورات معرفية قبلية؛ فوجود فكرة النظام كانت سابقة تعود إلى ق17م وعصر الآلة ولكنها لم تسيطر إلا في عصر لاحق، وهي أساس فكرة التمثيل:" أما القرن السابع عشر، فقد عرف سيادة ابستيمية أساسها (النظام) أفرزت فلسفة التمثيل، أو على الأصل إشكالية التمثيل التي تُعد الإشكالية الأساسية للنزعة الاختبارية في القرن الثامن عشر، وكذا للنزعة العقلانية الكلاسيكية مع ديكارت، أهم رافد من روافد العقل التنويري." (يفوت، 2008، الصفحات 76-77).

ينقل لنا جون سيرل فكرة الفيلسوف الاجتماعي براي فاي التي يرى فيها أن النموذج المسيطر على الفكر المعاصر هو"المنظورية" le perspectivisme؛ بمعنى كيف أرى أو أنظر إلى العالم؟ وعليه يتميز الفكر العلمي بتقبل الاختلاف ووجود التواصل بين الإنسان وعالمه الواقعي، يقول:" المنظورية هي النمط الإبستمولوجي(المعرفي) المهيمن على الحياة الفكرية المعاصرة.[...] واستنادا للمنظورية، ما من أحد يصور الواقع مباشرة كما هو في ذاته، بل هم يقاربونه من خلال ميولهم الشخصية بما فيها من افتراضات وتصورات مسبقة." (سيرل، 2006، صفحة 40). ولذلك لا يعرف الواقع إلا من خلال نظرية معينة تقوم على وجهة نظر علمائها، في إطار مناخ فكري ينشط فيه البحث العلمي، لدراسة الظواهر بأسلوب منظم، وعليه: **Le paradigme** هو نموذج معرفي منهجي يمثل خارطة لخطى علمية في فروع معرفية مختلفة؛ فقد يظهر هذا النموذج كفكرة أو تصور في علم الفيزياء ليصبح مثالا

Modèle يحتذى به في علوم مجاورة كالعلوم الإنسانية، ومن أمثلة ذلك ظهور التطورية الداروينية في البيولوجيا وسيادتها على البحوث في العلوم التجريبية والإنسانية، ومنه أصبح منهجا عاما للبحث التاريخي والتطوري والمقارن بمساعدة هذا النموذج، والأخذ به فيما يسمى باللسانيات التاريخية.

اهتم جملة من العلماء بأسلوب التفكير السائد، أمثال: كارل بوبرKarle poper ومايكل بولاني Michael Polanyi وستيفن تولمن Stephen E.Toulmin، هذا الأخير اهتم بدور المناخ الفكري في توجيه البحث وشحذ التعقل ونحت الفرضيات وفحصها، بجانب اهتمامه بالمقدمات العامة للعلم والمسلمات، يقول:" في دراسة تطور الأفكار العلمية، يجب أن نبحث دائما عن الأمثلة (النموذجية) والإبدالات التي يستند إليها الناس لجعل الطبيعة قابلة للفهم العقلي. فالعلم يتقدم، لا بالتعرف على صدق ملاحظات جديدة فحسب، إنما بإعطائها دلالات معينة. وفي مهمة التأويل هذه، نأتي بمبادئ للانتظام وبتصورات للنظام الطبيعي وبإبدالات ونماذج، وما إلى ذلك[...]" (البعزاتي، 2007، صفحة 113).

يوضع النموذج أو الإبدال [1] في سياق نظري وإطار منهجي معين، فيتميز بخضوعه للافتراض والتجربة، إضافة إلى جملة من الخصائص المعرفية التي نجملها كالآتي:

<u>- قابلية الإبدال أو النموذج المعرفي للانفتاح والامتداد</u>: ومعنى ذلك قابليته للامتداد إلى العلوم المجاورة والانفتاح على أفكار جديدة؛ فليس النموذج عقيدة دينية، بل يمتد إلى مجالات تجريبية جديدة بحكم قابلية أحكامه للتمديد، عن طريق القياس التمثيلي والاستنتاج الرياضي واقتباس النماذج من علوم مجاورة. ويتهيأ الإبدال للانفتاح، لأن مكوناته العلمية تتمتع بقدرة على التنبؤ، وعلى تمديد الأحكام من المجال التجريبي الحاضر إلى مجال تجريبي مشابه أو مماثل. وبما أن الطبيعة وحدة متصلة المناطق، فلا مفر من إسقاط المعرفة الحاضرة على مجال آخر قريب قصد الاستكشاف، ثم انتظار النتائج للفصل في نجاعة الإبدال.

<u>- الإبدال له نواة صلبة وفرضيات جانبية</u>: في النموذج المعرفي نواة صلبة تمثلها الفكرة الأساسية للفرضية، وفيه فرضيات جانبية مرتبطة بها مجهزة قصد التداول، وفيه مكونات موروثة من الثقافة السائدة، تندمج في النموذج بحكم التجاور التاريخي والاقتباس وضرورات التواصل. والمكونات التي تصاغ في قوانين مضبوطة تختلف عن المكونات التي تعلق

بالنموذج من خلال الإرث الفكري؛ ومعنى ذلك أن النواة الصلبة تثبت عندما تتحقق في مجال تجريبي محدد فتظل قابلة للنقل والتكيف مع مقومات إبدال جديد في طور التكوين. فالثورة العلمية كما ذهب توماس كون لا تفند كل شيء مما ينتمي إلى النموذج الذي أصبح في أزمة وإن ما تطيح بالفرضيات الضعيفة التي يبطلها الاستدلال.

<u>- ترابط الفكرة النواة أو الفرضيات الصلبة</u>: ويكون هذا الترابط عبر تاريخ العلوم على أساس أن الأفكار الحديثة - حتى في العلم - تنحدر من أفكار سابقة، تنقل عبر الأبنية الفكرية وتتحول مكوناتها من خلال التداول أو النقد. (البعزاتي، 2007، الصفحات 123-124) وبالتالي فالنموذج المعرفي يمتاز بقابليته للتجديد ومواكبة التحول في المفاهيم؛ أي هو متغير لأنه من اجتهاد وتفسير عقل الإنسان

للظواهر:" فيقترح كون في إطار "البرادايم" المتقلب فكرة أن البحث العلمي يرتكز على مثال يستخدمه الباحث نموذجا للمزيد من التقصيد." (فولر، 2012، صفحة 40). كما ربط هذا المفهوم بإطاره التاريخي فعند كون" ينجح البرادايم عبر احتكار وسائل الإنتاج الفكري؛ خصوصا المصطلحات التي يعرِف عبرها الجيل التالي عن الماضي بوصفه تركِة توكل إليهم مهمة المضي بها قدما." (فولر، 2012، صفحة نفسها) تتجلى عناصر النموذج المعرفي من خلال رؤية العالم، وطرح الإشكالات الأجدر بالتناول، والإطار التحليلي، والإطار المفهومي والمصطلحي، وقابلية التمثيل.

ومنه سنعرف هل يتمتع النموذج اللساني بالمواصفات نفسها، وهل يكون كالنموذج المعرفي الذي خبرناه مفهوما محايدا وقالبا فارغا يمكن استخدامه دون أن نترك آثارا لعلم ما على تلك المعرفة؟

2.1. مفهوم النموذج اللساني: و تمثيل اللغة

تتطلع النظريات اللسانية إلى تجاوز العقبات المفهومية والخلافات الفلسفية من أجل صياغة نماذج علمية تضعها أمام التحليل اللساني من أجل التجريب والإجراء، ولكل منظور لساني طريقة لتفسير الظواهر وترتيب الوقائع وتحليل الحقائق في نسق علمي منسجم" والنظرية اللسانية كسائر النظريات،هي بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد ممكن من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكو ن مجموعة مت سقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير، ويمكن تمثلها كمجموعة من المفاهيم الأساسية ومجموعة من المسلمات تُستنتج منها النتائج التفسيرية للنظرية." (الفهري، 1993، صفحة 13). فالنظرية تحتاج لنموذج تمثيلي لمبادئها (تشومسكي، 2009، صفحة 246) يُفع ل جانبها المجرد ويضعه أمام التجريب.

تعد محاولات الفلاسفة واللغويين الإغريق واليونان منذ عهود قديمة لإعطاء الصبغة المنطقية لقضايا اللغة من أولى المحاولات لوضع نماذج للكلام من خلال تناول فلسفي محظ، كما تعود عمليات وضع النماذج بشكل صريح لأعمال النحاة الكلاسكيين وجهودهم في وضع قواعد اللغات القديمة، ولكنها بقيت محكومة بأفكار أرسطو الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للنحو الأوروبي؛ بفضل أفكاره التي اعتمدها لرصد ظاهرة اللغة، ولا سيما مفهومه للكلمة والجملة. فتضمنت تأملاته الفلسفية تقيسما للكلم، وحديثا عن الجملة مركزا على العلاقة الإسنادية المنطقية بين أركانها، وقد عر ف أرسطو:" الجملة بأنها تركيب مؤلف من عد ة عناصر صوتية تحمل معنى مُحددًا قائما بذاته، ولكن كل من مكو ناته يحمل - في الوقت نفسه - معنى خاص ا به أيضًا.غير أن نظرية أرسطو في الجملة كانت مرتبطة في عمومها بنظريته في الحكم المنطقي، التي أدت به إلى أن يضفي على قضية الإسناد أهمية خاصة." (إفيتش، 2000، صفحة 12).

فالتنظير لظواهر اللغة أخذ عند الفلاسفة منحى منطقيا وآخر ميتافيزيقيا؛ باعتبار أن السؤال اللغوي هو مبحث من مباحث الفلسفة؛ فظلت النظرة إلى نمذجة الكلام توجهها المقولات الفلسفية طيلة قرون- خاصة في التراث اللساني الأوروبي- وقد كانت لنا إشارة من خلال الكلام السابق لوضع نماذج لمُثل الكلام على أساس نحوي- وهي فكرة لم تغب عن النحو الهندي القديم الذي أرسى قواعده العالم بانيني، وما جاء به علماؤنا في التراث النحوي العربي في وضع نموذج قواعد وأصول

تمثل نظام اللسان العربي متجلية في بعض التصورات كمفهوم الصيغة الإفرادية ومفهوم اللفظة، ومفهوم المثال كبنية تركيبية مجردة شاملة لجمل العربية التي توصلوا إليها بفضل نظرية العامل والقياس؛ ولذلك عادة ما يُحكم على النموذج النحوي العربي القديم والنموذج الهندي بالدقة الرياضية نظرا لوجود مثل هذه المفاهيم التي تعكس الفكر الرياضي الذي تميزت به نظريتهم.[2]

يبدو أن فكرة وضع نموذج[3] وصفي للغة من اللغات كان مرتبطا بالاشتغال باستنباط القواعد النحوية التي هي- في الحقيقة- تُمثل لنظامها، ولكنه عمل ظل مرهونا بمَنْطَقةِ اللغة في التراث النحوي للقرنين السابع عشر والثامن عشر، خاصة عند نحاة بور رويال فهم يرون أن:" النماذج النحوية ينبغي عليها أن تتطابق بقدر المستطاع مع متطلبات المنطق. ولم ا كان المنطق منطقا واحدا، وجامعا ومشتركا بين البشر، كان من الممكن بناء نظرية نحوية جامعة، تناسب جوهر كل اللغات في العالم. وكان لهذه الفكرة أصداء كثيرة، فمنذ ذلك الحين انطلق بحق التراث الراسخ للنحو المعياري في أوروبا كلها تقريبا." (إفيتش، 2000، صفحة 37)، فالتمثيل اللغوي قبل ظهور أفكار دي سوسور كانت له صبغة نحوية ومنطقية فلسفية، وينطبق على اللغات المدروسة ولذلك لا يمكن تعميم نماذجه، ولا يشمل كل ظواهرها اللغوية وكان محصورا في بعض المستويات التي اهتم بها النحو التقليدي.

2.استعارة التمثيل أو تقنية بناء النماذج: وخصائص النمذجة في اللسانيات

لم يبدأ علماء اللسانيات بحثهم عن نظرية علمية مناسبة تخص الألسن البشرية وتكشف عما هو مشترك بين أفرادها، إلا بعد فهمهم لموضوع اللسانيات كما أكده فرديناند دي سوسور Ferdinand de Saussure (1875ـ 1913)، وفكرته تحمل ضرورة بناء نظرية لسانية مستقلة عن علوم لطالما اشتغلت بموضوعات اللغة؛ كالفلسفة والتاريخ وعلم الأناسة. فعندما تحدد للسانيات موضوعها ومجالها تمكن علماؤها من وضع نظريات يرون أنها كفيلة بالإجابة عن إشكالات البحث اللساني، ومن أهمها البحث عن "نظام اللسان"؛ الذي اعتبره سوسور نظاما له قوانين وقواعد تحكم مستوياته وتحدد العلاقات(التركيبية والاستبدالية) بينها. ومنه وضعت النظريات اللسانية نماذجها لوصف قوانين هذا النظام وتجريدها في صور مختلفة، مما أدى إلى اختلاف النظر إلى هذا النظام وتنوع النماذج اللسانية.

يعد بناء النماذج مظهرا علميا يثبت التوجهات النظرية وخاصية اتصفت بها اللسانيات المعاصرة، كالبنوية والتوليدية التحويلية. وبخصوص الأساس المعرفي لمبدإ اللجوء إلى بناء النماذج اللسانية، يرى ج.س. ليبشي G.C lepschy " أن أساس ذلك هو القول بوجود تناظر بين النموذج وبين مظاهر الظاهرة المدروسة. وهو قول يقتضي تجريد هذه المظاهر التي تعتبر واردة، في مقابل مظاهر أخرى ليست واردة. ثم يتم اختيار الأولى على أساس اشتراكها في خصائص معينة. وللإشارة، فإن المظهر الوارد هو الذي لا يختص بفرد واحد وإنما بأفراد متعددين." (العمري، 2012، صفحة 45).

ويشير فوكو لهذه الأهمية في قوله "وإنه يتعين علينا أن نؤرخ للعلم كما نؤرخ لمجموع متناسق وقابل للتحول، في نفس الوقت، أي مجموع من النماذج النظرية والأدوات المفهومية." (فوكو، 1984، صفحة 39).

من الإشكالات التي لا بد من إثارتها، ونحن نختزل الحديث، هنا عن اللسانيات المعاصرة إلى الحديث عن لسانيات النماذج: إلى أي حد انضبطت هذه اللسانيات للمبدإ الإبستمولوجي العام الذي يرى أن كل عصر علمي يتميز بسيطرة نموذج عام يشكل هو والنماذج الخاصة ما يشبه المنظومة الشمسية؟ حيث النموذج العام هو المركز الذي يؤثر في بقية النماذج إلى درجة أن العصر العلمي الواحد، وبكل تفاصيله التي تمثلها العلوم الأطراف، يمكن أن يحمل اسم النموذج المسيطر أو النموذج الرأس[4].

سوف يتم التركيز في جوابنا، على أهم هذه الخصائص، وهي الخصائص التي تجعل النموذج اللساني يحظى بالقبول من قبل الإبستمولوجيين المهتمين بظاهرة النمذجة في العلوم. هذه الخصائص هي: **الانسجام أو عدم التناقض، والتعميم، والتجريد، والبساطة، والصورنة**.

3.أنواع النماذج اللسانية:

1.3.النموذج اللساني البنوي:

ترتب عن القول بالاتجاه الآني الذي دعا إليه دي سوسور لدراسة الألسن لسانيات ترى ضرورة البحث عن نظام اللسان، ولكنها نظرت إليه بمفاهيم متعددة جعلت النماذج التي تقترحها نظرياتها تتسم بالتنوع نتيجة لهذا الفهم الذي تقبع خلفه فلسفات وإشكاليات تصل إلى حد النقيض أحيانا. فتفهم البنوية النظام على أنه بنية؛ والبنية عند النظرية التوزيعية شكل قابل للوصف، وعليه يقترح بلومفيلد التحليل التوزيعي لدراسة هذه الأشكال وتصنيفها إلى فونيمات ومورفيمات وتراكيب بدل تصنيفات النحو التقليدي الكلمة والجملة، وعليه يجتهد كل من "بلومفيلد" و"فريز" و"هوكات" لإعطاء الصبغة الرياضية لهذه البنية الأمر الذي انعكس على النظرية التوزيعية وعلى نموذجها. وتفهم البنوية الوظيفية بأن البنية لا بد أن ترتبط بوظائف الفونيمات والمونيمات، التي تحدد بدورها التراكيب كوحدة كبرى محصورة في العلاقة الإسنادية كما ذهب إلى ذلك أندري مارتيني. ويمكن تمثيل النموذج البنوي بصورتين مختلفتين عند التوزيعية وعند الوظيفية لأن الانطلاقة النظرية لكل منهما متباينة لأسباب فلسفية ومعرفية وأخرى واقعية فرضتها معرفة الأوربيين باللغات المدروسة وابتعاد الأمريكيين عن اللغات المحللة مما جعلهم يتعاملون مع الكلام بدل اللسان:

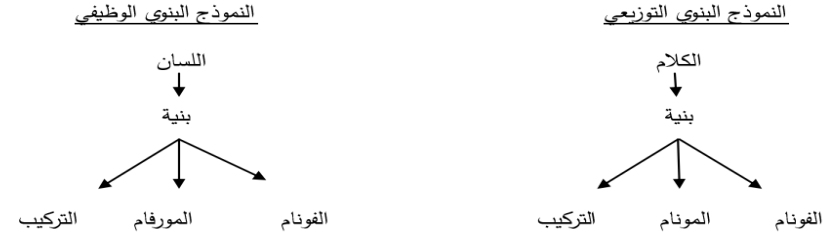

الشكل (1) تمثيل لمقولات النموذج البنوي اللساني

الواضح أن النموذج اللساني يقترح أدواته التحليلية في ضوء نظرية لها مبادؤها وأهدافها، وفلسفتها التي تطبع على التصورات والمفاهيم اللسانية، هذه الأدوات هي طرق التحليل اللغوي المنهجية ومجالها هو التركيز على مستويات لغوية تنتظم وفقها الوحدات والعلاقات، وصولا إلى التمثيل représentation والمقصود به التمثيل لهذه المستويات وتجريد قوانينها وتحديد العلاقات بينها عن طريق جهاز مفهومي متكامل ومصطلحات دقيقة.

التحليل البنوي ينطلق من اعتبار أن وصف البنية هو المنهج الصحيح للوصول لنظام الألسن، لذلك تعتمد البنوية على المنهج التجزيئي؛ بداية من الاهتمام بالفونام الذي يمثل الوحدة الصوتية المجردة، وهذه الوحدة تشكل وحدة أكبر منها هي المونام باصطلاح مارتيني الذي اعتبره أدنى وحدة دالة ولها وظائفها في السلسلة الكلامية لذلك تشكل ما يسمى بالتراكيب، التي تعتمد على علاقة مهمة وهي الإسناد. فكل وحدة من هذه الوحدات تمثل لمستويات اللسان كنظام مجرد لا يمكن الوصول إليه إلا بوصف البنية وصياغة نماذج رياضية مناسبة لها.

أما التحليل اللغوي يتم وفق نموذج نظري يتصوره العالم؛ ولذلك يختلف تصور التوزيعية عن الوظيفية، التي تنطلق من الكلام كتأدية شفاهية وتبحث عن منهج آخر يقوم على التقطيع والتوزيع على أساس أن أدنى وحدة دالة هي المورفام؛ والتي تتشكل بدورها من الفونيمات، ومجموع المورفيمات التي لها توزيع (وظيفة نحوية شكلية) هي التي تشكل المكونات المباشرة وأخرى مكونات غير مباشرة للتراكيب، وعليه يكتفي هذا النموذج البنوي كسابقه بالوصف والتصنيف ولا يهمه البحث عن تفسير الظواهر اللغوية التي تحتاج للتعليل كحالات الأفعال والصفات الشاذة عن القياس irréguliers، مع استبعاد المكون الدلالي؛ وهو ما يحاول نوام تشومسكي استدراكه باقتراح النموذج التوليدي التحويلي منطلقا من ملكة اللسان بدل نظام اللسان بالمفهوم البنوي.

2.3- النموذج التوليدي التحويلي: يبدو أن التوليدية التحويلية لم تكن نظرية واحدة ، بل مجموعة من النظريات والبرامج التي طورها تشومسكي بمعية علماء آخرين أمثال "راي جاكندوف" و"فيلمور" و"فودور" وغيرهم، فكانت هذه النظرية المركبة تتخلى عن بعض الأفكار في نماذج سابقة وتطور تصورات أخرى، فالنحو التوليدي عرف تغيرات في نوع الأسئلة المطروحة، ومنه تغيرا في النسيج النظري ككل؛ حيث نجد انتقاله من نحو القوائم rule - based، إلى النحو القالبي Modular الذي تتفاعل فيه المبادئ والوسائط، إلى تصور أدنى minimalist للنحو[5]. ويمكن القول إن النموذج التوليدي التحويلي يتعرض لتعديلات مستمرة على برامجه، ولذلك سنكتفي بعرض البرنامج الأدنى كآخر تصور لعمل نظام الملكة:

الشكل (2) تمثيل لمقولات النموذج التوليدي التحويلي

الشكل (3) تمثيل لمقولات نظرية الحد الأدنى (بوشار و ريبول، 2010، صفحة 23)

يحدد تشومسكي موضوعا مختلفا عن اللسانيات البنوية كمنطلق لنموذجه وهو البحث عن قواعد الملكة اللسانية، ورغم أنه فرق بين الكفاءة والتأدية إلا أنه لم يكن يعطي عناية كافية لاستعمال النظام اللغوي، وهذا يبدو جليا من اعتباره النظام جملة القواعد النحوية التي تحكم المكون الصوتي والمعجمي والدلالي مع الاهتمام بدور هذه المكونات في التركيب، فالجملة بالنسبة لهذا النموذج هي الوحدة التمثيلية الأساسية التي تترتب عن وجود بنيتين: بنية عميقة وأخرى سطحية، فالتركيب يعود لنظام القواعد الكامنة في النحو الذي يُعرف على أنه مجموع شروط تحدد نحوية الجمل في لسان ما، من حيث الصحة أو عدمها، وبالتالي" المكون الأساسي هو التركيب وهدفه أن يقدم انطلاقا من الأبنية ع (الأبنية العميقة سابقا أوdeep structures) تمثيلات تركيبية تسمى أبنية س (الأبنية السطحية سابقا أوsureface structures) وهي تصلح لأن تكون مداخل إلى المكونات الصوتمية (التي تشتق منها الصورة الصوتمية أو **ص ص**) والمكونات الدلالية (التي تُشتق منها الصورة المنطقي ة أو**ص م**)". (موشلر و ريبول، 2010، صفحة 23).

رغم محاولة هذا النموذج رد الاعتبار للمكون الدلالي إلا أن الدلالة بقيت مرهونة بالبنية النحوية المفترضة على أساس النظرة المختلفة للنظام في نظر تشومسكي كون " أن هذا النظام يمكن أن يتوسع بل يملك جهازا مولدا قابلا للتوسع واللساني من حقه أن يتصور هذه القوانين ويفترض قواعدها." (ليونز، 2009، صفحة 23).المثال المفترض كما يبدو من خلال مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية تجعل التوليدية تحتفظ بمفهوم البنية ولكن بفكرة تجريدية مختلفة عن النموذج البنوي، ويجعلها في خدمة وصف وتفسير عمل الملكة اللسانية بدل أن تكون غاية في ذاتها، ويؤكد تشومسكي في أعماله المتأخرة بأن الخصائص البنوية للغات الطبيعية موجودة فعلا، ولكنها من التجريد والتعقيد والخصوصية العالية المتعلقة بعمل الدماغ (ليونز، 2009، صفحة 24)، ما يجعلها صعبة المنال، مما يجد نفسه مدفوعا نحو الافتراض قبل التجريب.

كما يرى تشومسكي أن نظام الملكة شبكة مركبة من عدة أنظمة تجعل النظام اللغوي يعمل بالتوازي معها باعتبارها "أنظمة موازية" ومؤثرة على الأداء اللغوي(نظام المدخلات ونظام المخرجات)؛ ولذلك طرح إشكالية العلاقات بين ملكة اللسان والأنظمة الأخرى للعقل/ أو الدماغ، وعليه يقول بوجود نظام بيولوجي يعود لتركيبة الدماغ التي تؤثر على التمثيلات التي تقدمها الملكة:" ويشير هذا إلى حاجة الأنظمة الإفصاحية articulatory والإدراكية الحسية perceptual لاستغلال تمثيلات PF. وحاجة النظام المفاهيمي لاستغلال LF." (تشومسكي، 2009، صفحة 18).أي الربط بين الصوت والمعنى؛ بين تمثيلات اللفظ والخواص المنطقية للكلمات فيكون لدينا مستويان من التمثيل:PF الشكل الصوتي phonetic form وLF الشكل المنطقي logical form، كحد أدنى للتمثيل[6].

والسؤال الذي يمكن طرحه: ماذا عن الكلمة التي يكون لها أكثر من معنى في سياقات مختلفة؟ كيف يمكن تمثيلها باللغة الصناعية للمنطق والرياضيات؟

مشكلة المسائل الدلالية هي أحد الأسباب التي أطاحت بالنموذج البنوي وأضعفت من نسيجه النظري، نجدها تعود لتقف عائقا أمام تمثيلات النموذج التوليدي وخاصة في القواعد المعجمية

الوظيفية:" والصعوبات التي صودفت في هذا الطريق قد أدى كثيرا أو قليلا إلى التخلي عن هذا النموذج من النظرية. والدراسات اللغوية للمعنى قد وسعت لتشمل بشكل كبير ما يمكن أن يعتبره بعض اللغويين واقعا خارج ميدان الدلالة، وداخلا في مجال التداولية pragmatics." (روبنز، 1997، صفحة 362).

وكما قال فرانك بالمر:" إن سعي اللسانيات إلى أن تكون علما أملى عليها أن لا تعنى بالأمثلة المحدودة بل تهتم بالعموميات، ومن أهم مصاديق ذلك التمييز بين النظام اللغوي واستعمال هذا النظام" (علوي عبيد، 2013، صفحة 41) وعليه يمكن تمثيل النموذج اللساني الذي يجمع بين المكونات اللسانية التركيب والدلالة والمقتضيات التداولية بالمخطط الآتي:

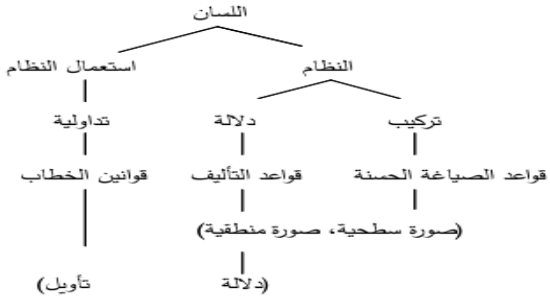

الشكل (4) تمثيل لمقولات النموذج اللساني التداولي (موشلر و ريبول، 2010، صفحة 30)

3.3.النموذج الخطابي التداولي:

يبدو أن الاختلاف بين مفهوم نظام اللسان واستعمال هذا النظام يترتب عليه التفريق بين المستوى الدلالي والتركيبي من جهة وبين المستوى التداولي من جهة أخرى، ونلاحظ من ذلك شيئا مهما وهو احتفاظ موشلر و ريبول بمفهوم الجملة في هذا التمثيل وبعض تصورات النظرية التوليدية فيما يخص نظام اللسان الذي ينتهي بتحديد دلالة الجملة النحوية والمنطقية في مقابل التداولية التي تنتهي إلى تأويل معاني الأقوال" وإذن يجب إتمام الدلالة اللسانية، وهذا هو دور التداولية. فمهمة التداولية أن تقدم تأويلا تاما للجملة التي كانت موضوع إلقاء أي قول. وحين نتحدث عن التأويل فإننا نحيل على العملية التي تسند إلى قول ما قيمة معينة، هي القيمة التي تم تبليغها." (موشلر و ريبول، 2010، صفحة 30).

وعليه تعنى النظريات التداولية بتصور نماذج تهتم بالتركيب والدلالة والتداول كمستويات لوحدة أشمل من الجملة وهي الخطاب، ومن الأوائل الذين دعوا إلى تحليل جديد لأنواع الخطابات الفيلسوف ميشال فوكو يقول:" تحليل التفاعلات الداخلية للخطاب بطريقة أخرى غير طرائق التفسير التقليدي أو بواسطة طرائق الصورية الألسنية،..." (فوكو، 1984، صفحة 39). وعليه يفترض بأن للخطاب نظاما كبقية نُظم الحياة.

هذا الخطاب الذي ينتجه الأفراد يمكن تصور نظام يجمع بين قواعده الصارمة ومقتضياته التداولية بعكس ما كان معتقدا، يقول باتريك شارودو أن هذه الفكرة :" هي التي تفسر لماذا افترض ف. دي سوسير على نحو ما، أن مفهوم الكلام الفردي غير قابل للوصف والسبب أنه يبدو غير متوق ع. ومفهوم الخطاب المؤسس لحقول التخصص المسماة باسمه يقول على عكس ذلك بأن الخطابات يمكن دراستها باعتبارها تمث ل انتظامات ليست هي مع ذلك انتظامات نسق اللسان." (شارودو و منغنو، 2013، صفحة 37).

ويمكن القول إنه من المبكر الحكم على النماذج التي تقترحها النظريات اللسانية للبحث في نظام وآليات تشكل الخطاب[7]؛ حيث تعتبر أعمال فون دايك رائدة في مجال وضع أسس موضوعية للسانيات الخطاب؛ ونجده مهتما بالقواعد النحوية بمفهوم يختلف عن قواعد تشومسكي، على أساس أنها قواعد متواضع عليها:"... إنما نعني به أنها مشتركة بين أفراد جماعة لسانية معينة، إذ هؤلاء الأفراد يعرفون هذه القواعد معرفة ضمنية، وهم قادرون على استعمالها استعمالا بحيث إن العبارات الكلامية يمكن النظر إليها كما لو كان يحددها النسق اللغوي الخاص بالجماعة، وهو نسق يكتسبه كل فرد مستعمل لها اكتسابا معرفيا." (دايك، 2013، صفحة 18). وإذا كان النحو يتميز بخواص البنية المجردة، فلا بد من ربطه بالدلالة التي لا تتحدد مقاصدها بدقة إلا بربطها باستعمال المتكلم في سياقات ما. (دايك، 2013، صفحة 19) وعليه يفترض جملة من التصورات لوضع نظرية لسانية خطابية، يكون أساسها الخطاب بدل الجملة ويتم توسيع البني النحوية لتشمل المناسبة التداولية بدل حدود الصحة النحوية، وربط الخطاب بالفعل التواصلي بدل المتكلم المستمع المثالي.

4.نظام اللسان و نظام الملكة و نظام الخطاب: القطيعة أم التواصل؟

هناك دائما وسائل لتقييم النظريات العلمية ونماذجها منها: القدرة التفسيرية؛ والمقصود بذلك: أن يكون النموذج قادرا على تفسير وقائع وظواهر عجزت نماذج أخرى عن تفسيرها. على أن يتوفر القدرة على التقريب بين النظرية والواقع المدروس؛ وبما أن الظواهر اللغوية أوسع من مدونة اللساني التي يقيم عليها نظريته فمن البديهي أن يظهر في كل نموذج ضعف في معالجة بعض الحالات كالمعنى عند البنوية والظواهر الخطابية عند التوليدية، وهو في الأساس سبب يعود لتعارض مبدأ الاختزال ومبدأ التعميم في بناء النماذج؛ يقول محمد مفتاح:" إن النماذج النظرية - كأي نموذج آخر- تعبير عن ظاهرة ما مختزل، هناك إذن اختزال ملازم لطبيعة النماذج مهما كان، ومهما ادعى التمامية، فضلا على أن اللغة الطبيعية بدورها مقتطعة، ومع ذلك، فإنها تبقى أوسع من النماذج الموضوعة لوصفها وتفسيرها. أي: إن هناك اختزالا للاختزال." (مفتاح م.، 2000، صفحة 92). ومنه يرى بأن اللسانيات الصارمة اقتصرت على التراكيب ذات الدلالة الأصلية في حين أن الاستعمال يحوي تنوعا من الانزياحات ومستويات مختلفة من الدلالات.

فإذا كان دي سوسور افترض أن المثل موجودة في نظام اللسان وهي قوانينه، فتشومسكي افترض بأنها في ملكة اللسان وهي قواعدها، والنظريات اللسانية الخطابية والتداولية تفترض بأنها ماثلة في نظام الخطاب، فمن حق اللساني الافتراض والتجريب، لأن مفهوم المثال يبقى فكرة مجردة قد تقارب

الواقع اللغوي وقد تبتعد عنه، هذا الواقع الذي لا يحمل لنا سوى الظواهر المتنوعة والمتغيرة التي يصعب حصرها.

واختلاف هذه التصورات للنظام يجعل الحكم بالقطيعة المعرفية بينها حكما ينطبق على ما قاله غاستون باشلار:" إن للفكر بنية متحولة منذ كان للمعرفة تاريخ....، بيد أن الفكر العلمي، بالدرجة الأولى، هو تصحيح للمعرفة، توسيع أطر المعرفة. إنه يحكم على ماضيه التاريخي بإدانته. وإن بنيته هي الوعي بأخطائه التاريخية." (باشلار، 1983، صفحة 169). وإذا كان العلم والنظر الجديد لا يتقدم إلا بنقض سابقه عند باشلار، فهو لا يبرر له فشله في معالجة موضوعاته بل وينفك ويتمفصل عنه عند فوكو فقد أثبتت حفريات التاريخ العلمي:" كيف أن نظاما معرفيا ما...(الإبستيمية) لا يُفسر نظاما معرفيا آخر، ولكنه يتمفصل عنه. كيف أن القطائع المعرفية التي كانت تحدث في الحيز البيولوجي(الحيوي) والحيز الاقتصادي، والحيز اللغوي، لا ينتج بعضها البعض الآخر، ولا يكون أحدها أصلا للآخرين أو مرجعا لهما. ولكنها تتموضع في حيزها، تتلامس حدودها، تتمفصل فيما بينها ويكون لكل منها تناهيها الخاص." (فوكو م.، 1990، صفحة 18).

قد نجد مبررا معرفيا لهذا الطرح إذا نظرنا إلى نقطة مهمة وهي أن النماذج المترتبة عن هذه النظم تؤطرها نظريات تأخذ مشاربها من فلسفات مختلفة، فالفلسفة الوضعية الاجتماعية عند سوسور والواقعية التجريبية عند البنوية، والفلسفة العقلية عند التوليدية، تصنع مفارقات مهمة بين هذه النظريات اللسانية، لأن هذه المسلمات تقود اللساني لإشكالية يفكر في بحثها قد تناقض ما يسعى إليه غيره في نظرية أخرى. ولكن ما دام موضوع البحث مشتركا وهو الظاهرة اللغوية فلا بد وأن توجد لهذه الجهود صلات وروابط فكرية ما، تجعلنا نقول:" إن مبالغات باشلار واضحة؛ فربما أصبح ذلك المحيط الثقافي عند مستوى معين من نضج البناء العلمي عائقا؛ لكن، ألم يكن ذلك المحيط هو المختبر الأولي الذي اختمرت فيه اللبنات الأولى لكل نظر علمي؟ فليس المحيط الثقافي عائقا فقط، إن ه في نفس الوقت شرط لكل تفكير، كيفما كان. وعليه لا يوجد تفكير متحرر من كل إرث؛ وبالتالي فكل تفكير لا بد أن تتجاذبه سلطة التقليد وتوقعات البحث." (البعزاتي، 2007، صفحة 94).

وأمثلة ذلك دي سوسور الذي تشبع بأفكار التاريخية والنحو المقارن، وتشومسكي الذي ترعرع في أحضان البنوية والمنهج التوزيعي الصارم، لتظهر على أيدي أمثالهم مناهج موازية للموجودة، على الرغم من أن فكر العالم لا يتطور بالتوازي وإنما بالتقاطع والتواصل مع أفكار غيره. ولذلك ينبغي أن" لا نقطع الصلات بين المفاهيم المتبلورة في نطاق إبدال قديم وإبدال جديد فجأة، بل يتم الانتقال من خلال سيرورة حوارية وتنافسية وتدافعية متشبعة. ولا يلاحظ الانفصال بين مكونات النسقين المفهومين، الجديد والقديم، إلا بعد اكتمال الانتظام الداخلي للنسق الجديد." (البعزاتي، 2007، صفحة 320). والدليل على هذا أن فكرة الاهتمام بالخطاب في البحث اللساني بدأت في المناخ المنهجي البنوي عند بنفنيست، وعند هاريس ولو بمفاهيم تختلف كل الاختلاف عن مفهوم الخطاب في اللسانيات الاتصالية.

يعد التواصل النموذج المعرفي le paradigme الذي يميز البحث اللساني والعلوم المجاورة له؛ والتي طالما اعتقد بأنها تؤثر على موضوعية ودقة هذا البحث، فإبراز نشاط التواصل أصبح يمثل نسقا مهما لتنظيم الوقائع، وهو ما اعتقده هابرماس حيث:" يتمثل افتراضه أن العلوم الإنسانية في القرن العشرين أعدت منذ الآن عناصر لأنثروبولوجيا أصلية، مبنية على براديغم التواصل." (هابر، 2012، صفحة 89). ولتحقيق هذا النموذج اقترحت مقاربات ضمن ثلاثة فروع هي: اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع.

خاتمة:

- تغيرت تمثيلات وافتراضات النموذج اللساني من تصور المفاهيم الجزئية والتركيز على تفاصيل نظام اللسان ومستوياته، وتحري الصورنة الرياضية والمنطقية، إلى الاهتمام بأطراف التواصل والمتفاعلين في الخطاطات الخطابية، وتمثيل العلاقات المتبادلة بشكل أوسع تدخل فيه الاعتبارات غير اللسانية بما يسمح به نظام الخطاب لا نظام اللسان، وبهذا لم تعد مسألة الوصف والتفسير تطرح على مسامع لسانيات اليوم التي أصبحت علما جديدا للتواصل.

- النظريات اللسانية تتأثر بالنموذج المعرفي ولكن أفكاره يصيبها التحول والتعديل بما يناسب البحث في الظواهر اللغوية؛ لأنه يمر عبر الجهاز المفهومي لعالِم اللسانيات فقراءته للأفكار التي تقترحها المعرفة العلمية والأفكار الفلسفية، تجعلها مطبوعة بنظرته للأمور المحيطة به، ونتيجة لذلك نحصل على تصوراته اللسانية التي قد تتشارك مع أخرى وقد تختلف عنها؛ ولذلك يمكن أن نصف علاقة النموذج المعرفي بالنموذج اللساني بأنها علاقة احتواء؛ والتي تصور لنا المعرفي منهما بذلك الكيان الشامل الذي يؤثر على النظريات العلمية في بنائها ورؤيتها للظواهر قيد الدراسة.

قائمة المصادروالمراجع

- إفيتش، ميلكا. (2000). إتجاهات البحث اللساني. ط2. ترجمة. وفاء كامل فايد. المجلس الأعلى للثقافة. مصر.

- باشلار غاستون. (1983). الفكر العلمي الجديد. ط2. ترجمة. عادل العوا وعبد الله عبد الدائم. المؤسسة الجامعية. بيروت. لبنان.

- البعزاتي، بناصر. (2007). خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة. ط1. دار الأمان. المغرب.

- بوبر، كارل. (1986). منطق الكشف العلمي. ترجمة. ماهر عبد القادر محمد علي. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.

- تشومسكي، نعوم. (2009). آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل. ط1. ترجمة. عدنان حسن. دار الحوار. اللاذقية. سوريا.

- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2007). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. دار موفم. الجزائر.

- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2007). السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. دار موفم للنشر. الجزائر.

- دايك، فون. (2013). النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي. ترجمة. عبد القادر قنيني. إفريقيا الشرق. المغرب.
- روبنز، هنري. (1997). موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب. ترجمة. أحمد عوض. عالم المعرفة. الكويت.
- سيرل، جون. (2006). العقل واللغة والمجتمع - الفلسفة في العالم الواقعي. ط1. ترجمة. سعيد الغانمي. الدار العربية للعلوم ناشرون. منشورات الاختلاف. المركز الثقافي العربي. لبنان. الجزائر. المغرب.
- شارودو، باتريك. ومنغنو، دومينيك. (2013). معجم تحليل الخطاب. ترجمة. عبد القادر المهيري وحمادي صمود. المركز الوطني للترجمة. ودار سيناترا. تونس.
- صليبا، جميل. (1979). المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. دار الكتاب اللبناني. ودار الكتاب المصري. بيروت. القاهرة.
- صمود، جمال. (2009). فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين. ط1. الدار العربية للعلوم ناشرون. ومنشورات الاختلاف. ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم. لبنان. الجزائر. الإمارات.
- صولة، عبد الله. (2011). في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس.
- علوي عبيد، كريم. (2013). كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات. ط1. منشورات ضفاف. ودار الأمان. والاختلاف. بيروت. المغرب. الجزائر.
- العمري، محمد. محمد. (2012). الأسس الإبستيمولوجية للنظرية اللسانية: البنوية والتوليدية. ط1. دار أسامة للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- الفهري، عبد القادر الفاسي. (1993). اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية دلالية. ط3. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب.
- فوكو، ميشيل. (1990). الكلمات والأشياء. ترجمة. مطاع صفدي. وسالم يفوت وآخرون. مراجعة. جورج زيناتي. مركز الإنماء القومي للترجمة. بيروت. لبنان.
- فوكو، ميشال. (1984). نظام الخطاب. ط1. ترجمة. محمد سبيلا. دار التنوير. بيروت. لبنان.
- فولر، ستيف. (2012). كون ضد بوبر. ط1، ترجمة. نجيب الحصادي. المركز القومي للترجمة. القاهرة.
- ليونز، جون. (2009). اللغة واللغويات. ط1. ترجمة. محمد العناني. دار جرير. عمان. الأردن.
- مفتاح، محمد. (1990). مجهول البيان. ط1. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب.
- مفتاح، محمد. (2000). النص من القراءة إلى التنظير. ط1. شركة المدارس. الدار البيضاء. المغرب.
- موشلر، جاك. وريبول، آن. (2010). القاموس الموسوعي للتداولية. ط2. ترجمة. عز الدين المجدوب. ومجموعة من الأساتذة. دار سيناترا تونس.
- هابر، ستيفان. (2012). هابرماس والسوسيولوجيا. ط1. ترجمة. محمد جديدي. منشورات ضفاف. والاختلاف. ودار الأمان. لبنان. الجزائر. المغرب.

- هوندرتش، تد. (2003). دليل أكسفورد للفلسفة. ترجمة. نجيب الحصادي. المكتب الوطني للبحث والتطوير. ليبيا.
- يفوت، سالم. (2008). إبستيمولوجيا العلم الحديث. ط2. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب.

الإحالات :

(1) يترجم البعزاتي (paradigme) بـ"إبدال"، وتوجد لدي الإبستمولوجيين النقديين غير الوضعيين مفاهيم قريبة الدلالة من "الإبدال"، مثل مفهوم أسلوب التفكير، وابستيمي، وأسلوب التعقل. تعبر عن وجود تعالقات مفهومية تربط بين الأفكار في لحظة تاريخية معينة، خصوصا مكونات ذلك الفكر الذي ينصب على مجال وقائعي معين. (البعزاتي، 2007، صفحة 116). وبالنسبة لميشال فوكو فإنه يقصد به الإبستيمية.

(2) يتحدث عبد الرحمن الحاج صالح عن استنباط البنى والمثل بالقياس كعملية تجريدية أساسية ترتب عنها مفهوم مثال الكلمة أو وزنها وبناؤها، ومفهوم مثال اللفظة الفعلية والاسمية، ومثال البنية التركيبية المجردة العاملية، ويوضح كيفية إجراء هذا القياس العربي في النحو قائلا:" ويتم بذلك استنباط المثال(وهو تجريد البناء) الذي يجمعها(الجامع) أي البنية المجردة التي تمتاز بها هذه الفئة عن غيرها." (الحاج صالح، 2007، الصفحات 48- 49). ويسميه المثال المُولد le schème générateur.

(3) يأخذ مصطلح النموذج أو المثال مفاهيم متشعبة الأبعاد في فروع معرفية مختلفة ومقاصد عند الدارسين تفرض علينا التدقيق عند توظيفها؛ فالأستاذ الحاج صالح يستعمل "المثال" بمفهومين: الأول منهما هو"Modèle" ويخص به القوانين المجردة للظواهر اللغوية وهي مُثل تتحدد على مثالها العمليات التي تحدثها والتي يكشف عنها العلم الضابط كالنحو العلمي (الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، 2007، صفحة 22)، ويستعمل المفهوم الثاني في المستويات اللغوية ويسميه"le schème générateur". ويتحدث عبد الله صولة عن مجال آخر للمثال، هو الحِجاج عندما يشرح مفهوم الأشكال الحجاجية les schèmes argumentatifs التي يُستخدم فيها المَثَل والشاهد والمِثال Modèle والتي يُستخدم فيها التمثيل والاستعارة (صولة، 2011، صفحة 41) كما يسمي المثال Modèle أو نموذج الشخص المُحاجج وعكسه L'anti-modèle (صولة، 2011، صفحة 56)، أما الإطار أو الهيكل الذهني Frame فهو قانون العبور من الحجة إلى النتيجة (صولة، 2011، صفحة 93). أما محمد مفتاح فيُفصل المفاهيم المتعلقة بالتحليل بالإطار التي تعود لمقاربات العلم المعرفي la science cognitive وهي مفاهيم الأمثلة "Prototypes" والقوالب "Stereotypes" والأطر"Frames" والمدونات "Scriptst" والسيناريهات "Scenarios" والمخططات "Schemas" والنموذج الذهني " Mental Model" (مفتاح، 1990، صفحة 64) وقد أورد مصطلحاتها باللغة الإنجليزية، والتي وظفت في لسانيات النص وتحليل الخطاب وخاصة في دراسة الاستعارة بدل التحليل الشبكي الدلالي. ويترجم مفتاح"Prototype" إلى مثال (مفتاح، 1990، صفحة 67) وقصد به اسم الجنس الدلالي، الذي يأخذ مفهوما أوسع في مجال علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي، أما عبد الله صولة فيترجمه إلى مصطلح الطراز.

كل هذه المفاهيم استغلت في هذه المجالات قصد معرفة قوانين تنظيم المعرفة وعلاقتها بالطبيعة الإنسانية والعالم المحيط بها واستثمارها في تحليل النصوص.

(4) يقول العمري:" ما سميناه" النموذج الرأس" هو ما يسميه فوكو" الإبستيمة" ويعني به الأفكار العامة التي تهيمن في مرحلة علمية ما (أنظر Foucault (1969). وهو ما أسماه توماس كون Thomas Kuhn (1922ـ 1996) " النموذج الإرشادي" (أو البارادايكم) 1974) " (العمري، 2012، صفحة 46).

(5) ينظر: نظرية الحد الأدنى في الصور المنطقية عند فريج راسل، في كتاب: (صمود، 2009، صفحة 15).

(6) يعني: البرنامج الأدنى تخليص النظرية من أكبر عدد ممكن من الوسائل نحو التبسيط، ولذلك توصف التوليدية بأنها نظرية ابتعدت عن الظاهرة و ركزت جهودها على تعديل فرضياتها و برامجها لحمايتها من السقوط. أما عن مفهوم التحويل فقد عرف هو الآخر تغيرات في الطرح لتنتهي قواعد تشومسكي في أحدث صور لها بقاعدة تحويل واحدة فقط مقيدة بدرجة عالية وهي:"حرك α" أي حرك كل ما يمكن أن يحرك في الحدود التي تفرضها بقية عناصر النظام." (روبنز، 1997، صفحة 361) وينظر لتطبيقاتها في نظرية العامل والربط الإحالي.

(7) تجدر الإشارة هنا لفضل أفكار العالم اللساني إميل بنفنيست في جمع الدراسة اللسانية والاعتبارات الخطابية من خلال نظرية التلفظ.